CC BY

College of Basic Education Research Journal

www.berj.mosuljournals.com

Political life in Mecca before the fall of the Circassian Mamluk (859-922 AH/1455-1516 AD)

Prof. Dr. Abdul Qader Ahmed Younis
M.M. Hammad Khader Ali

Article Information

Article history:
Received: February19,2024
Reviewer: March 27,2024
Accepted: March 27,2024
Available online

Keywords:

Correspondence:

Abstract

The interest of the Circassian Mamluk state required it to impose its hegemony over the Hijaz in general and Mecca in particular for two reasons: the first was religious for the leadership of the Islamic world at that time, and the second was economic, to control the economic capabilities of the Hijaz after the emergence of the port of Jeddah in the year (827 AH/1424 AD) and the balance of power in the Islamic world shifted after it lost The port of Aden, its economic status, and the shift of international trade in that year to the port of Jeddah, which served as the economic interface of Hejaz due to the arbitrary policy pursued by the Rasulid sultans In Yemen, against commercial boats coming from India and other countries. Therefore, we notice the interest of the Circassian Mamluks in Mecca and the attempt to stir up strife among its princes in order to weaken them and control the reins of government there by appointing whomever they see as more loyal to them. The study attempted to reveal the reasons that led to that policy. Which was adopted by the Circassian Mamluks in the Hijaz in general and Mecca in particular, and to give a clear picture of the conditions of Mecca internally and externally in that period The study showed the relationship between the nobles of Mecca and its princes and the conflicts that were taking place between them, as well as the rebellions that took place in that period by some military leaders and relationship The tribes surrounding Mecca and the rebellion those tribes, as well as the relationship between them and the Circassian Mamluk sultans before the fall of their state.

ISSN: 1992 – 7452

الحياة السياسية في مكة في عصر الشريف محمد بن بركات (٨٥٩- ٩٠٣هـ/ ١٤٥٥-١٤٩٨م)

التمهيد

منذ قيام دولة المماليك في مصر سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) حرص سلاطينها على مد نفوذهم السياسي إلى اقليم الحجاز، وأن يخطب لهم على منابرها لكي تحمل دولتهم لقب حامي الحرمين الشريفين وبالتالي الحصول على زعامة المسلمين السياسية والروحية لتنال احترام العالم الإسلامي وتقديره ،لاسيما مع تعدد الخلافات الإسلامية في المشرق والمغرب والاندلس، مما دفع بعض الفقهاء ايجاد نظرية ان الخليفة الشرعي للمسلمين هو من يملك بلاد الحرمين ويقوم بأعمال الحج[١]، ولو نظرنا بصورة عميقة في تاريخها السياسي نجد أنها لم تنعم بالاستقرار منذ نهاية عصر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم حتى سقوط دولة المماليك الجراكسة ، فقد ضعف مركز الحجاز السياسي عموماً ومكة خصوصاً بعد انتقال مركز الخلافة الى دمشق ، ومن ثم الى بغداد فالقاهرة .

ويمكننا القول أن مكة المكرمة ارتبطت بالعديد من الامارات الإسلامية المستقلة ، منذ مطلع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، وتحديداً سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م) منذ قيام أولى امارات الاشراف في مكة المكرمة ، وظهر التنافس بين القوى الإسلامية المختلفة كالعباسيين والفاطميين والايوبيين للسيطرة على الحجاز على اعتبار أن من يسيطر على الحرمين هو الزعيم الروحي للمسلمين وسلطانهم ، وذلك من اجل اضفاء السيادة على حكمهم ، فضلاً عن تثبيت اركان دويلاتهم داخلياً وخارجياً ،مما انعكس سلباً على أوضاع مكة سياسياً واقتصادياً ، فعانى أهلها وحجاج بيت الحرام من القتل والنهب والسلب خاصة بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[٢]، وكان النزاع بين اشراف مكة على اشده فلم يتمكنوا من توحيد صفوفهم وغالباً ما يخرج الأخ عن طاعة أخيه او أبيه مرتمياً بأحضان المماليك باعتبارهم زعماء العالم الإسلامي آنذاك ، وبعد قيام دولة المماليك الجراكسة سنة (٧٨٤هـ /١٣٨٣م) حاول سلاطينها احكام قبضتهم على الحجاز نتيجة للأهمية الاقتصادية بعد بروز ميناء جدة سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٤م) .[٣]

---

(١) اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب واضح ، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : عبد الأمير مهنا ، الاعلمي (بيروت : ٢٠١٠م)٢ /١٨٨.

(٢) ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب ، المختصر في أخبار البشر، الطبقة الحسينية المصرية (د/ت: د/م)٣/ ١٩٣.

(٣) النجم عمر بن فهد ، عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ،اتحاف الورى بأخبار ام القرى ، تحقيق : فهيم شلتوت (مكة المكرمة: ١٩٨٣م) ٣/ ٧٦١.

المبحث الاول: الحياة السياسية في مكة في عصر الشريف محمد بن بركات (٨٥٩- ٩٠٣هـ/ ١٤٥٥-١٤٩٨م)

بعد وفاة شريف مكة بركات بن حسن بن عجلان [٤] في شهر شعبان (٨٥٩هـ/١٤٧٤م) تولى الإمارة بعده ابنه الشريف محمد (٨٥٩-٩٠٣هـ/١٤٥٥-١٤٩٧م)[٥] الذي حصل على تأييد السلطان المملوكي في توليه شؤون الإمارة ، فأرسل اليه مرسوم توليته في الرابع من شوال من السنة ذاتها ، حيث سعى اشراف مكة في تلك الفترة في الحصول على تأييد السلاطين المماليك وتهيئة احد ابنائهم لتولي شؤون الإمارة بعدهم فبعد أن شعر الشريف بركات بن حسن بن عجلان بعجزه عن ادارة امور البلاد بسبب تقدمه في العمر حيث اصبح قليل الحركة وغير قادراً على ادارة شؤون الامارة ارسل الى السلطان بواسطة نائب جدة جاني بك [٦] أن يشرك ابنه محمد بإدارة شؤون الامارة لتهيئته للانفراد بالولاية بعد وفاته . [٧]

---

[٤]() بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن ابو نمي بن الحسن بن علي بن قتادة بن ادريس، الحسني. أمير مكة ولد في الحشافة سنة (٨٠١ هـ/ ١٣٩٨م) درس على يد عدد من الشيوخ في سن مبكرة من عمره مما انعكس على شخصيته فعرف بالتواضع والسيرة الحسنة والاخلاق الحميدة والوقار، اشركه والده معه في حكم مكة في سنة (٨١٠ هـ /١٤٠٧م) وعزل عنها عدة مرات بأمر المماليك، ثم استقل بالولاية سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٦م) ، وبقى بها حتى وفاته في وادي مر سنة (٨٥٩هـ /١٤٥٥م) . المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : محمد احمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د / م : د/ ت) ،٣ / ٣٤٢- ٣٤٦.

[٥]() محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني، أمير مكة وملك الحجاز، ولد سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)، وهو اول من ملك المدينة من عائلته= = بمباركة السلطان المملوكي الظاهر جقمق في سنة (٧٨٧هـ/١٣٨٥م) ، كان حميد السيرة وفاق اسلافه في الكثير من المحاسن وبقى على مكة حتى وفاته في محرم سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) . السخاوي، شمس الدين ابو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن ابي بكر ين عثمان بن محمد ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، دار الكتب العلمية (بيروت :١٩٩٣م) /٤٥٢.

[٦]() جاني بك : سُمي الظاهري نسبة الى السلطان المملوكي الظاهر جقمق لكونه كان من مماليكه ، كان أميراً جليلاً اسمراً قصيراً ذو دهاء ، كريماً سخياً ساكناً ، خدم السلطان وتولى عدة مناصب اشهرها نائبه على جدة ، قُتل بتدبير من السلطان خشدم بالقرب من جامع القلعة بعد ان خشى السلطان من تعاظم نفوذه فدبر له حيلة فقتله في ٨ / ذي الحجة (٨٦٧هـ/١٤٦٣م). ابن اياس ، محمد بن احمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة :١٩٨٤م) ، ٢/٤٠٨-٤٠٩.

[٧]() ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، (مصر : د / ت) ١٦/ ٩٢-٩٣.

ومما تجدر الاشارة اليه أن الرشوة قد تفشت في دولة المماليك فلم تكن المناصب تعهد الى متوليها إلا بعد دفعه الاموال والهدايا التي كانت تذهب الى جيوب السلاطين وحاشيتهم لا سيما ممثلي دولة المماليك في الحجاز لذا عهد الشريف بركات بتلك المهمة الى جاني بك نائب جدة لكنه كان مشغولاً في تلك الفترة بسبب وصول مراكب من الهند لذلك تأخر عن مقابلة السلطان في مصر وإنهاء مسألة ولاية العهد بتتويج الشريف محمد بن بركات حتى وفاة ابيه ، لذلك توجه الى مصر بعد وفاته للإعلام بوفاة الشريف بركات بن محمد وتتويج ابنه محمد والياُ على مكة بعد ابيه ، وفي تلك الظروف الحرجة التي مرت بها مكة برز الدور القيادي للوزير بديد الذي استطاع حفظ الامن في الولاية من خلال بعض الاجراءات التي قام بها ، فقد ارسل رسولين الاول الى القاهرة لإبلاغ السلطان مباشرة ، اما الرسول الثاني الى جاني بك الذي كان متوجهاً الى القاهرة ، كما ارسل في طلب الشريف محمد بن بركات الذي كان ارسله والده الى اليمن في مهمة اخرى .[٨]

لقد اتسمت فترة حُكم الشريف محمد بن بركات بالهدوء النسبي والاستقرار السياسي قياساً بأسلافه، كما تعتبر مدة حكمه اطول مدة من بين اسلافه من اشراف مكة، فلم يحصل نزاع كبير بينه وبين الأشراف بعد أن أخضع القبائل وكل الطامعين من حوله، كما أنه كان سياسياً بارعاً استطاع إرضاء جميع الأطراف بما في ذلك السلطة المملوكية وليس ادل من ذلك العلاقة الطيبة بين الطرفين.

على أن عهده لا يخلو من بعض الفتن والاضطرابات الداخلية ، فكانت أولى الفتن خروج احد قادته ووزيره بديد [٩] الذي حاول الخروج عن طاعته والاستقلال بالإمارة ، إلا أن الشريف محمد استطاع نتيجة حنكته السياسية وقدرته العسكرية ، فضلاً عن الدعم المملوكي له من قمع تمرده وإرغامه على الصلح ، بعد أن صادر أمواله واقسم على طاعته وذلك في شهر جمادى الأخرة (٨٦٧هـ/١٤٦٣م). [١٠]

---

[٨]() ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٦/ ٩٥.

[٩]() بديد بن شكر : القائد شهاب الدين ، إسمه احمد ،أعتقه الشريف حسن بن عجلان والي مكة ، ففأصبح وزيرا له ولإبنه محمد ولد في مكة في سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) وكان فارساً شهماً نبيلاً ، ذو رأي ، كفوء شجاعا فأهلته تلك الصفات ليصبح أحد قادة الشريف محمد بن بركات ثم حصل خلاف بينهما ثم اصطلحا ، توفي في جماد الأولى سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٤م). النجم بن فهد ، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ، دار خضر (مكة المكرمة : ٢٠٠٠م) ١/ ٦٤٠ –٦٤٣.

[١٠]() العز بن فهد ، عبد العزيز بن فهد ، بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، صلاح الدين خليل ابراهيم وآخرون ، دار القاهرة (القاهرة :٢٠٠٥م)١/ ١٢ .

وبعد استقرار الأوضاع داخلياً والقضاء على المنافسين والطامعين في الحكم من القواد والاشراف وجه الشريف محمد قواته بمساعدة الحامية المملوكية نحو القبائل المحيطة بمكة التي كانت تشكل خطراً على الحجاج والتمرد على نوابه في مناطق حكمهم لا سيما المناطق الجنوبية فكانت وجهته نحو القبائل القاطنة في الجنوب سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٤م) فدخلها وصالح أهلها وقلد الإمارة لأحد نوابه في المنطقة بعد وفاة عمه فثار عليه أهلها ، ويفهم من الروايات التاريخية أن الشريف عقد اتفاقاً مع القبائل التي تقطن على طول الطريق ما بين مكة وحلي فأخضعها لحكمه. [١١]

ويبدو أن تلك القبائل ضلت تشكل خطراً في تلك الفترة على شريف مكة لذلك واصل شن الغارات ضدهم بشكل متواصل ففي سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦م) توجه صوب ينبع [١٢]لمقاتلة بني ابراهيم[١٣] فحاصرهم مدة حتى استسلموا فصالحهم وعاد الى مكة [١٤] ، كما عاود الكرة على القبائل في الأعوام التالية ففي سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)وفي الأعوام التي تلتها غزاهم اكثر من مرة ، وكان له الكثير من الغزوات ضد القبائل في تلك الفترة من اجل اخضاعهم لسلطته وتوطيد حكمه وتأمين طرق الحج . [١٥]

على أن الصراع بين افراد البيت الحاكم عاد من جديد تمثل ذلك بخروج الشريف علي بن بركات[١٦] عن طاعة الشريف محمد في سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) فذهب إلى القاهرة على أمل الحصول

---

[١١]() العز بن فهد ، غاية المرام ، ٢/٥١٠.

[١٢]() ينبع: هو وادي وقيل حصن يقع على يمين جبل الرضوي ويبعد عنه حوالي (٤٠) كم ، وفيها مياه وعيون جارية ونخيل وزرع ، كما فيها اوقاف للإمام علي بن ابي طالب رضى الله عنه . ابن حوقل ، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ، صورة الأرض ، دار صادر (بيروت:١٩٣٨م) ١/٣٣.

[١٣]() بنو ابراهيم : إحدى بطون بني مالك من قبيلة جهينة ، وتقع ديارهم في ينبع ، كان لهم دورا كبيرا في الأحداث السياسية بمكة. القلقشدي ، ابو العباس احمد بن علي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق :ابراهيم الابياري ، ط٢، دار الكتاب المصري (د / م :١٩٨٢م) ١٦٢؛ الجاسر، حمد، قبائل المملكة العربية السعودية ، النادي الادبي (الرياض : ١٩٨١م) ص١٦.

[١٤]() النجم بن فهد ، اتحاف الورى ، ٤ / ٤٧٠ – ٤٧١.

[١٥]() العز بن فهد ، غاية المرام ، ٢ / ٥١٣– ٥١٤.

[١٦]() علي بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني، ابن أمير الحجاز دخل في صراع مع اخيه محمد على الإمارة فاتصل بالمماليك اكثر من مرة على أمل الحصول على تأييدهم ضد اخيه الذي جعله أميراً على جازان فأكرمه السلطان وأجرى له راتباً ، كان شاعراً ذكياً فطناً محباً للعلماء ، توفي بمصر سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م) ودفن في مقبرة الاشرف برسباي .السخاوي، شمس الدين ابو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن ابي بكر بن عثمان بن محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،مكتبة الحياة (بيروت: د/ت) ٥/١٩٧–١٩٨.

على تأييد السلطان المملوكي قابتباي[١٧] في منحه الولاية لكنه مساعيه باءت بالفشل على الرغم من اكرام السلطان له بأن اجرى له مرتباً يومياً وحاول إصلاح الأمر بينه وبين اخيه [١٨]، ويبدو أن حدة التمردات زادت في تلك الفترة ، فحصل تمرد آخر قاده الشريف رميثة بن أبي القاسم ضد الشريف محمد، فقد شق عصى الطاعة في سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م) لكنه فشل في تحقيق مسعاه لذلك توجه صوب اليمن .[١٩]

وشهدت المناطق الجنوبية المتاخمة لحدود الحجاز عمليات عسكرية قادها الشريف محمد بن بركات بنفسه بمساعدة الحامية المملوكية المرابطة بمكة المكرمة ضد القبائل المناوئة لحكمه على أن اقوى واشرس تلك الغزوات تلك التي انطلقت ضد جازان [٢٠]في العام (٨٨٢هـ /١٤٧٧م) انتقاماً من والي المدينة الذي غالباً ما كان يأوي المتمردين والخارجين عن سلطة الشريف محمد ، فلما وصلها تدخل بعض اشرافها في الصلح إلا أنه قال لهم : " بعد أن جئت الى هنا فلا بد أن أدخل من باب وأخرج من ثاني ولا أحدث شيئاً" فلم يرضى أميرها عندها حصلت مواجهة بين الطرفان وكان النصر لأهل الحجاز ، فدخلها عسكر الشريف وأشعل النيران فيها وهدم سورها ونهب حصنها وفتك بأهلها ، إذ قتل الكثير منهم حتى الاطفال والنساء وأسر الكثير من الشرفاء والنساء واخذهم الى بلاده ، بعد ذلك نهبها عسكره وأحرق دورها وسرقوا الكتب التي فيها ولم يسلم من تلك العملية إلا المساجد، ويرى البعض من المؤرخون أن القحط الذي اصاب مكة في تلك السنة كان سببه ما وقع من ظلم على اهل جازان.[٢١]

---

[١٧]() السلطان قايتباي، ابو النصر، الملك الأشرف، المحمودي، الظاهري ، الجركسي ، سلطان مصر , السلطان الواحد والاربعين من السلاطين المماليك , اشتراه الأشرف برسباي سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) من رجل يدعى محمود ، ثم اشتراه منه السلطان الظاهر جقمق، فتدرج بالمناصب في الدولة المملوكية حتى وصل إلى السلطنة في العام (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) بعد خلع الظاهر تمر بغا من قبل المماليك، اعتنى ببلاد الحجاز كثيراً لا سيما الجانبين العلمي والعمراني ، إذ له الكثير من الاوقاف فيها، كما أن فيه نزعة صوفية ، دام حكمه حوالي ثمانية عشر عاماً حافلاً بالحروب والمعارك، توفى سنة (٩٠١هـ/١٤٩٦هـ). السخاوي , التحفة اللطيفة ، ٣٨٢/٢.

[١٨]() النجم عمر بن فهد ، اتحاف الورى ،٤٨٠/٤؛ العز بن فهد ، غاية المرام ،٢ /٥١٢.

[١٩]() العز بن فهد ، غاية المرام ،٥١٧/٢ ؛ العز بن فهد ، بلوغ القرى ،١٤.

[٢٠]() جازان : منطقه في اليمن تقع على طريق الحجاج اليمانيين، وكان يطلق عليها المخلاف السليماني نسبة الى أميرها سليمان الحكمي الذي كان يحكمها في القرن الرابع الهجري اما حدودها فمتدت من البحر الاحمر غرباً الى جبال عسير شرقاً. ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ،ط٢، دار صادر (بيروت : ١٩٩٥م) ،٢ /٩٤.

[٢١]() النجم بن فهد ، اتحاف الورى ، ٦١٣/٤-٦١٤.

ونظرا للاستقرار الذي عم الحجاز عموما ومكة المكرمة خصوصاُ توثقت العلاقة بين مصر ومكة المكرمة فقرر السلطان قايتباي أداء فريضة الحج في سنة (٨٨٤هـ/١٤٧٩م) فأستقبله الشريف محمد بن بركات خارج مكة عند الصفراء[٢٢] بالقرب من المدينة المنورة مع أولاده وبعض القضاة وقدم له فروض الطاعة والولاء في حين منحه السلطان هدية قيمة واقره على ولايته بخلاف غيره من الأشراف اللذين غالباً ما كانوا يفرون من مكة حين قدوم السلاطين المماليك ، ونتيجة للوفاق الذي حصل بين الطرفين وما قدمه الشريف محمد بن بركات من فروض الولاء والطاعة ودفعه الاموال للسلطة المملوكية والاهتمام بأمن الحجاج ومنعه أمير محمل الحج العراقي من الدخول الى مكة إلا بعد زيارته للسلطان قايتباي بمصر فقد اصدر السلطان مرسوماً في سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م) للشريف محمد بركات يشكره على جهوده ويوليه كافة ولايات الحجاز وله الحرية في اختيار العمال عليها .[٢٣]

ومن خلال تتبع المعلومات التي أوردتها المصادر عن تلك الحقبة نلاحظ أن الشريف محمد غالباً ما كان يوجه قواته نحو القبائل القاطنة حول مكة بعد أن قضى على طموح الطامعين بالسلطة تارة بالقوى وتارة باللين عن طريق دفع الأموال لهم ، مما فسح المجال له لتأديب القبائل التي تحاول الخروج عن سلطته او التي تتوانى بدفع الأموال التي بذمتها للشريف ، ففي سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م) توجه صوب اليمن لغزو بعض القبائل لكنهم هربوا أمامه ثم عاد الى بلاده ، ثم عاود الهجوم في العام التالي عليهم، إذ ارسل حملة عسكرية بقيادة ولده بركات لتأديبهم فوصلتهم تلك القوة وتمكنت من النصر عليهم واسرت جماعة منهم ، كما غنم منهم غنائم كثيرة كان من بينها ابلاً واغناماً [٢٤]

ونتيجة لسياسة الحزم التي اتبعها الشريف محمد بن بركات بقيت مكة تنعم بالاستقرار في ضل حاكم قوي كان حريصاً على فرض سيادته عليها حتى وفاته في محرم سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) .

---

[٢٢]() الصفراء : قرية فيها وادي على مقربة من ينبع فيها مزارع ونخيل ،من اشهر عيونها وأغزرها عين البحيرة ، تبعد يوم واحد عن جبل رضوي ، ويسكنها عدة قبائل منها جُهينة. البكري ،ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، ط٣، عالم الكتب (بيروت:١٤٠٣هـ)٣/ ٨٣٦.

[٢٣]() العز بن فهد ، غاية المرام ، ٥٣٨/٢.

[٢٤]() العز بن فهد ، غاية المرام ،٥٤١/٢.

المبحث الثاني: الصراع بين الاشراف على السلطة (٩٠٣-٩٢٢هـ/ ١٤٥٥-١٥١٦م)

بعد وفاة الشريف محمد بن بركات خلفه في الإمارة ابنه بركات[٢٥] الذي كان أُشرك مع والده في حكم الإمارة في العام (٨٧٨هـ/١٤٧٣م) [٢٦]فكان بمثابة القائد العسكري ونائباً لوالده فكثيراً ما كان يرسله في الحملات العسكرية ، وكان من المفترض ان الشريف بركات استفاد من اشراكه في الحكم مع والده ، لكن الاحداث التي جرت في عهده تشير خلاف ذلك، فقد اتسم عهده بكثرة الفتن والاضطرابات بسبب الصراع بينه وبين اخوته، فضلاً عن ذلك فالدولة المملوكية لم تصدق نواياها معه ، فلم تسعى لتحقيق الامن الاستقرار في مكة بصورة جدية بل غلب الطمع على سياستها في الحجاز واصبح العامل الاقتصادي وجمعها الاموال بالطرق الغير شرعيـة من أولى اهتماماتها ، مما شجع الطامعين بالتمرد على الشريف بركات فكان اول هؤلاء اخاه هزاع بن محمد [٢٧]في الخروج عن الطاعة سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) بعد زيارته للمدينة المنورة فتوجه إلى ينبع [٢٨]، ويُعتقد انه خرج عن الطاعة بتحريض أمير المدينة المنورة ، حيث أشارت بعض المصادر تعاطفه مع الشريف هزاع في تمرده ، ويبدو ان موسم الحج كان على الابواب فحاول ممثل المماليك في الحجاز كاتب السر[٢٩] تهدئة الأوضاع لحين انتهاء موسم الحج فسعى بالصلح بين الطرفين واجتمع بهم على انفراد وعقد الصلح بينهما في موسم سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) ،على ان يدفع الشريف بركات أموالاً لأخيه هزاع الذي انسحب بصحبة اخيه جازان الى ينبع فساحا المجال لأخيه ادارة أمور الولاية .[٣٠]

---

[٢٥]() بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، أمير مكة تولاها سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م)،انبل إخوته وأقربهم لتولي الإمارة ، ولد سنة (٨٦١هـ/١٤٥٧م) كان شجاعاً فاضلاً حسن التدبير ، له وقائع كثيرة مع إخوته بقى في الإمارة حتى وفاته سنة (٩٣١هـ/١٥٢٥م). السخاوي ، الضوء اللامع ، ٢/٤٩-٥٠.

[٢٦]() العز بن فهد ، غاية المرام ، ٣/٤٤.

[٢٧]() هزاع بن محمد بن بركات الحسني ، تولى إمرة مكة بعد انتزاعها من اخيه، كان صالحاً حافظاً للقران الكريم توفي في السميرات سنة (٩٠٧هـ/١٥٠١م). بامخرمة، الطيب بن عبدالله بن احمد بن علي ، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، تحقيق : بو جمعة وخالد زماري ، دار المنهاج (جدة :٢٠٠٨م)٦/ ٥٣٣ -٥٣٤.

[٢٨]() العز بن فهد ، غاية المرام ،٣/ ٨٣.

[٢٩]() كاتب السر : هو موظف في الدولة المملوكية وضيفته قراءة المراسيم الصادرة من مصر الى اشراف الحجاز فضلا عن بعض المهام الادارية الأخرى . العز بن فهد ، بلوغ القرى ، ١ /١٠٥٩.

[٣٠]() العز بن فهد ، بلوغ القرى ، ١٠٩١.

ويبدو أن الشريف هزاع كانت ينتظر انتهاء موسم الحج ليهاجم مكة حيث يكثر عسكر السلطان في مكة اثناء الحج فلما انتهى الموسم هاجم حامية اخاه فهزمها ونهب أموالها مما استدعى تدخل أمير الركب المصري فعقد الصلح بينهما ،على ان تكون الإمارة شراكة بين الاخوين إلا في السير إلى حلي فألبسه الخلعة في ذي الحجة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) ، واستمر هزاع في وفاق مع اخيه بركات حتى سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) .[٣١]

على ما يبدو أن الوساطة المملوكية كانت مؤقتة ولم تزل أسباب العداء بين الاخوين بشكل نهائي فهي اقل من تطلعات الشريف هزاع الذي كان يأمل الاستقلال بالإمارة دون شريك ، إذ تمرد من جديد على اخيه فتوجه إلى ينبع ، ويقال ان سبب خروجه بعض الامتيازات التي منحتها مصر لأخيه أمير الشريف بركات [٣٢]، واستغل الشريف هزاع موسم الحج في سنة (٩٠٦هـ/١٥٠١م) حيث ظهرت بوادر الخلاف تطفو على السطح وخاض معركة مع اخيه جعلت الدولة المملوكية تنصاع لقراره ومطالبه بتوليته الإمارة فأرسل اليه السلطان مرسوماً بذلك وهو في ينبع في (٩٠٦هـ/١٥٠٠م)، فلما وصلت تلك الأخبار الى الشريف بركات استعد للمواجهة وعسكر بقواته عند رأس الجموم [٣٣]استعداداً لملاقاة اخيه، في حين وصل الشريف هزاع بقواته وقبل بدأ المعركة انسحب قسم من انصاره من الترك ولم يشتركوا في المعركة بقولهم "بينك وبين اخيك"[٣٤]، فجرت بينهما معركة انهزم في بدايتها الشريف هزاع في ثلاث جولات وقُتل نحو ثلاثين شخصاً من اتباعه ، ومما يجدر ذكره أن أمير الحج المصري ومعه عدد من القبائل انحازوا للشريف هزاع فقويت شوكته في حين بدأت جبهة اخيه بالتصدع فخسر المعركة بعد قتالٍ شديد أبلى فيه بلاءً حسناً، فانسحب نحو جدة بعد أن فقد احد اولاده وانهزام غالبية جيشه فنهبها ثم اتجه الى اليمن [٣٥] ، ودخل الشريف هزاع مكة منتصراً بصحبة حلفائه من الاشراف والترك بعد ان نهب اتباعه المناطق القريبة من مكة والموالية للشريف بركات ومنها الجموح [٣٦]، لكن الشريف هزاع لم ينعم طويلاً في إمارته ، إذ

---

[٣١]() العز بن فهد ، غاية المرام ،٣/٩٠

[٣٢]() العز بن فهد ، بلوغ القرى ،١١٥١.

[٣٣]() الجموم: هي ارض في ديار بني سليم ، وكانت فيها إحدى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ ارسل اليها زيد بن حارثة رضى الله عنه. ياقوت الحموي ،معجو البلدان، ٢/١٦٣ –١٦٤.

[٣٤]() العز بن فهد ،غاية المرام ،٣/١٠٤.

[٣٥]() بامخرمة، قلادة النحر،٦/٥٣٤؛ الحنفي ،عبدالله بن محمد الغازي ، إفادة الأنام بذكر أخبار البلد ، تحقيق : عبد الملك بن عبدالله بن دهيش ، مكتبة الأسدي (مكة المكرمة :٢٠٠٩م) ٣/٣٢٣.

[٣٦]() العز بن فهد ،غاية المرام ، ٣/ ١٠٤.

توفي في شهر رجب سنة (٩٠٧هـ/١٥٠٢م) وبعد وفاته خلفه اخوه الشريف جازان [٣٧] في أمرتها بمساعدة قاضي مكة إذ سعى له بالإمارة عند ممثل السلطة المملوكية بقوله "انه اصلح للحجاز من بركات وان بركات ما هو إلا راعي معزى" . [٣٨]

ومع تولي الشريف احمد للأمارة عادت الخلافات بين الاخوين من جديد بعد أن تجهز له اخيه بركات الذي لم يرق له الامر فقرر مهاجمته بعد أن جمع جيشاً كبيراً فتوجه نحو مكة عندها أدرك جازان بعدم قدرته على مقاومته فأنحسب بدون قتال إلى ينبع فساحا المجال لأخيه فدخل مكة من جديد [٣٩] ، ويتضح ان الشريف بركات بدخوله مكة جعل من السلطة المملوكية تعدل عن سياستها تجاهه، فقد ارسل اليه السلطان الغوري(٩٠٥-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م)[٤٠] خلعاً ومرسوم توليته على الإمارة والاعتذار منه عن مقتل ولده وعما حصل، وتضمن المرسوم ايضاً ان ما حصل هو اجتهاد من الأمراء وان السلطان ليس لديه علم بما حصل . [٤١]

ونلاحظ في تلك الفترة تدهور الأوضاع السياسية في مكة بشكل كبير وضياع هيبة الاشراف وافتراق كلمتهم فأصبحت الحرب كر وفر بينهم، إذ لم تحل الهزيمة بأحدهم حتى يحاول تجميع انصاره وترتيب صفوفه طمعاً في الحصول على الولاية ، فأثناء غياب الشريف بركات في جهة اليمن دخل الشريف جازان مكة ، فلما رجع الشريف بركات حاول إخراجه إلا أن محاولته فشلت فانسحب جهة اليمن فتبعه الشريف جازان لمطاردته إلا أن الشريف بركات خالفه فدخل مكة بقوة تقدر بأربعين فارساً فضلا عن

---

[٣٧]() الشريف جازان : احمد بن محمد بن بركات الحسني ، أمير مكة ، سُمي بالجازاني لكون والده دخل جازان في السنة التي ولد بها (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) فنهبها وسبى نسائها ، دخل في الصراع الدائر بين اخويه بركات وهزاع ووقف الى جانب الاخير ، ثم تولى إمرة مكة بعد وفاة اخيه هزاع سنة (٩٠٧هـ/١٥٠١م) فساءت سيرته مما دفع بعض الاتراك لقتله وهو يطوف في الحرم المكي سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م) فدقن في مقبرة المعلاة. بامخرمة ، قلادة النحر ، ٦ / ٥٣٨- ٥٣٩.

[٣٨]() بامخرمة ، قلادة النحر ،٦/ ٥٣٦.

[٣٩]()بامخرمة ، قلادة النحر،٦/٥٣٦.

[٤٠])) قانصوه الغوري : بن عبد الله الجركسي ،ابو النصر، الملك الأشرف ، سمي بالغوري نسبة إلى الغور ، وكان مقداما شجاعا داهية ، بويع بالسلطنة في مصر سنة (٩٠٥هـ /١٤٩٩م) انهزم جيشه أمام الجيش العثماني في= = معركة مرج دابق (٩٢٢هـ/١٥١٦م) فمات قهراً. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ،تحقيق : خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٧م)١/ ٢٩٥-٢٩٨.

[٤١]() العز بن فهد ، غاية المرام، ١١٨/٣.

حلفائه من الاشراف فسُر الناس بقدومه ، وبعد ان استقرت أوضاعه قرر تحصين مدينته عن طريق تحوطيها بحفر ثلاث خنادق لكي تعيق تقدم القوات التي قد تغزوها، فهدئت الأوضاع نسبياً .[٤٢]

يبدو أن التحصينات الدفاعية للشريف بركات لم تجدي نفعاً أمام محاولات وإصرار أخيه الشريف الجازاني من دخول مكة ، فقد حاول عدة مرات مهاجمتها بعد ان جمع انصاره من أهل ينبع والقبائل والمجاورة فتمكن في شوال (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) من دخولها بعد أن هرب الشريف بركات فقتل الرجال والنساء والاطفال والعبيد، ونهبت العساكر الأهالي وانتهكوا حرمة المسجد الحرام، ويبدو أن ينبع كانت قاعدة لعملياته العسكرية في الانطلاق لمهاجمة مكة ، فضلا عن عدم ثقته بقواته في مواجهة الحملات المصرية ، فقد نقل الاموال التي نهبها اليها وباع بعضها بأبخس الاثمان ، فلما سمع السلطان الغوري بذلك غضب فجرد حملة عسكرية ضده فلما سمع بها هرب اليها . [٤٣]

حاول الشريف بركات استغلال غضب السلطان الغوري على اخيه فتحرك لاستقبال الحملة المصرية ولكن أمير الحج قبض عليه وتوجه به إلى مصر في سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٤م) وبعد مغادرة الحملة المصرية عاد الشريف جازان فتولى الإمارة ، لكنه بسبب سوء سيرته ومعاملته السيئة لأهل مكة ساءت علاقته بالسلاطين المماليك فقتلوه اثناء طوافه بالكعبة في رجب (٩٠٩هـ/١٥٠٤م) فتولى الإمارة بدلاً منه اخوه الشريف حميضة الذي يبدو انه كان متواطئاً في قتله ، فلم تستتب له الأمور، فقد لاقى معارضة من قبل حلفاء جازان واخذو يشنون الغارات على المناطق المحيطة بمكة .[٤٤]

ومن خلال استقراء النصوص التاريخية يتضح ان السلطان لم يكن يعول كثيراً على قدرة الشريف حميضة في تسيير أمور البلاد ، لذلك فقد اصدر مرسوماً يتضمن إعفاءه من الإمارة وتعيين احد اخوته بدلاً منه أما الشريف بركات او الشريف قايتباي ، وبعد التشاور بين ممثل المماليك وزعماء القبائل استقر الرأي على تولية الشريف قايتباي وفعلاً دخل مكة في صفر (٩١٠هـ/١٥٠٤م) ولبس الخلعة وقرأت مراسيم تنصيبه أميراً على مكة واشراك اخيه بركات في الخطبة والدعاء له على المنابر . [٤٥]

---

[٤٢]() العز بن فهد ، غاية المرام ، ٣/ ١٢٦-١٢٧؛ العصامي ، سمط النجوم ،٢٩٩/٤.

[٤٣]() العز بن فهد ،٣ غاية المرام /١٣٨؛ غانم ، حامد زيان ، تاريخ مكة زمن المماليك ، مكتبة الثقافة العربية (القاهرة : ٢٠١٥) ٢٦٥.

[٤٤]() الفاسي ، شفاء الغرام ،٣٦١/٢ .

[٤٥]() العز بن فهد ،غاية المرام ، ١٧٣/٣.

يبدو أن الشريف بركات كان صاحب النفوذ الأكبر في مكة نتيجة لمحاربته القبائل ووضع حد لتمرداتها ومهاجمتها الحجاج مما جعله ينال رضى السلطان او على الأقل هو الرجل الاقوى بين إخوته في تلك الفترة فقد تمكن من اشراك ابنه علي معه في الحكم فحصل الأخير على نصف أموال الإمارة ودخلها ، وبعد وفاة ابنه علي سنة(٩١٣هـ/١٥٠٨م) سعى في اشراك ابنه الآخر محمد ابو نمي مع قايتباي في ادارة شؤون الإمارة [٤٦]فاستمرا عليها حتى وفاة الاخير سنة (٩١٨هـ/ ١٥١٢م) [٤٧]وبعد وفاته طلب بركات أن يكون ابنه ابو نمي شريكا له في الإمارة فأجيب إلى طلبه.[٤٨]

ورغم العلاقة الجيدة بين الشريف بركات والسلطان الغوري في مصر الا ان الشريف كان ينتابه الخوف والقلق عند تأخر أخبار مصر او تأخر ارسال الخلع السلطانية عن موعدها المقرر فيقوم الشريف بأرسال شخص مقرب منه الى مصر لجس نبض السلطان والاطمئنان على رضاه من الشريف ، إذ ذكر العز بن فهد ان الشريف بركات ارسل ولده ابو نمي الى القاهرة في سنة (٩١٩هـ/١٥١٣م) وعمره حينها تسع سنوات ومعه اثنين من القضاة فأستقبلهم السلطان الغوري استقبالاً حافلاً واكرمهم وارسل مرسوما يتضمن الشكر للشريف بركات وتوليته بلاد الحجاز بأسره واشراك ابنه معه في الإمارة .[٤٩]

واستمراراً للنزاعات الداخلية بين الاشراف على الامارة فقد دخل امير بركات بن محمد في صراع مع اخوته حدثت خلاله سلسلة من لمعارك بينهم انتهت بمقتل اعداد كبيرة من اتباعهم ، ويبدو أن نتيجة الصراع لم تحسم لأي من الطرفين ، لذلك توجه الاشراف اخوة بركات الى مصر في سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) للقاء السلطان الغوري الذي بالغ في استقبالهم وطيب خاطرهم ووعدهم أن قضيتهم محل اهتمامه ، وفي الوقت ذاته ارسل الى اخيهم الشريف بركات يخبره ما حصل للأشراف من تعظيم وفي الرسالة التي بعثها السلطان كان فيها الكثير من التعظيم للسيد بركات حسب رواية العز بن فهد ، وبعد هذا التاريخ تحسنت علاقة الشريف بركات بمصر بفضل دهائه السياسي وخبرته العسكرية فحاول انهاء الصراع السياسي في ولايته وحل المشاكل الداخلية وإرضاء جميع الأطراف، متبعاً عدة طرق في ذلك تارة باللين وأخرى بالشدة واسفرت سياسته تلك عن استكانة الاطراف المناوئة لحكمه فلم تشهد المناطق الواقعة تحت حكمه احداثاً تستحق الذكر حتى نهاية موضوع الدراسة وهو سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م).

---

[٤٦]() الفاسي ، شفاء الغرام ، ٢/ ٢٦٣.

[٤٧]() العز ين فهد ، غاية المرام ، ٣/ ١٤٧.

[٤٨]() الفاسي ، شفاء الغرام ، ٣٦١/٢ _٣٦٢.

[٤٩]() غاية المرام ، ٣/ ٢٤٩-٢٥٠؛

توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج التي يمكن اجمالها بالآتي

١ – عدم استقرار الحياة بمكة قبيل سقوط دولة المماليك الجراكسة بسبب التنافس بين الامراء والاشراف على السلطة.

٢–اهتمام المماليك الجراكسة ببلاد الحجاز عموماً ومكة على وجه الخصوص نتيجة لأهميتها الاقتصادية بعد بروز ميناء جدة في النصف الاول منذ القرن التاسع الهجري.

٣– اعتماد أُمراء مكة على الأشراف والقواد كقوتين عسكريتين كان لهما الدور البارز في اختيار أمير مكة.

٤– فرض المكوس على القبائل المجاورة جعلها مصدر قلق للإمارة، إذ كانت تلك القبائل تشكل خطراً عليها بين الحين والآخر، فكانت القبائل القاطنة على طريق الحجاج تشكل مصدر خطر عليهم بسبب إهمال أُمراء مكة لتلك القبائل وعدم الاهتمام بالناحية الدينية وتوعية هؤلاء الأعراب.

٥– أثر اعتماد مبدأ الشراكة في الحكم على أوضاع مكة بشكل عام، إذ غالباً ما كان أمراء مكة يدخلون في خلافات تؤدي في النهاية إلى إدخال اهل مكة في الصراع فضلاً عن تدخل القوى الخارجية

قائمة المصادر

بامخرمة، ابو محمد الطيب بن عبدالله بن احمد بن علي (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م)
١–قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر ، تحقيق : بو جمعة و خالد زماري ، دار المنهاج (جدة :٢٠٠٨م).
البكري ، ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
٢– معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ،ط٣، عالم الكتب (بيروت:١٤٠٣هـ).
ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)
٣– المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : محمد احمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د / م : د/ ت).
ابن حوقل ، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت٣٦٧هـ/٩٧٨م)
٤– صورة الأرض ،دار صادر (بيروت:١٩٣٨م)
ابن خلدون ،عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

٥- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق: خليل شحاذة ،ط٢، دار الفكر (بيروت :١٩٨٨م)

السخاوي، شمس الدين ابو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن ابي بكر ين عثمان بن محمد (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م)

٦-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،مكتبة الحياة (بيروت: د/ت)

العز بن فهد ، عزالدين بن عبد العزيز بن عمر بن محمد(ت٩٢٢ هـ/ ١٥١٦م)

٧-غاية المرام بأخبار سلطنة البلد ، دار المدني (جدة : ١٩٨٦ م)

٨- بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، صلاح الدين خليل ابراهيم وآخرون ، دار القاهرة (القاهرة :٢٠٠٥م)

الغزي ، نجم الدين محمد بن محمد(ت١٠٦١هـ/١٦٥١م)

٩- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق : خليل المنصور (دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٧م)

ابو الفداء ،عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢)

١٠- المختصر في أخبار البشر، الطبقة الحسينية المصرية (د / م: د / ت)

ابن فهد ، عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م)

١١- اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهيم شلتوت (مكة المكرمة: ١٩٨٣م)

١٢- الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ، دار خضر (مكة المكرمة : ٢٠٠٠م)

القلقشدي ، ابو العباس بن علي- (ت٨٢٨هـ/١٤٢٥م)

١٣-صبح الاعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب العلمية (بيروت :د/ت)

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)

١٤ - معجم البلدان (بيروت :١٩٩٥)

اليافعي ، ابو محمد عفيف الدين بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧)

١٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق خليل المنصور دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٧ م)

المراجع الحديثة

١٦–الجاسر، حمد ، قبائل المملكة العربية السعودية ، النادي الادبي (الرياض : ١٩٨١م)

١٧– الجبوري ، حماد خضر ، امارة بني قتادة في مكة ، دار المبادرة (عمان : ٢٠٢٤م)

١٨ –غانم ، حامد زيان ، تاريخ مكة زمن المماليك ، مكتبة الثقافة العربية (القاهرة : ٢٠١٥)